التغير الاجتماعي:
قراءة مفاهيمية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

د. سوهيلة زوار
جامعة الجزائر3

الملخص:
يهدف هذا المقال إلى مقاربة مفهوم التغير الاجتماعي عامة من جهة، ومن جهة أخرى ربط هذا المفهوم بمتغير تكنولوجيات الإعلام والاتصال لتحليل مدى أثرها في سيرورة عملية التغيرات الاجتماعية. من خلال المدخل البحثي السوسيولوجي الحديث المعروف بـــ: مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات، هذه الأخيرة التي تمثل ثنائية "التغير الاجتماعي واستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال" بالنسبة إليها م أهم الفروض الابستيمولوجية التي تقوم عليها.

الكلمات المفتاحية:
التغير الاجتماعي، سوسيولوجيا الاستخدامات، تكنولوجيات الإعلام والاتصال (TIC)، الاستخدام.

Résume :
Cet article vise à approcher le concept du changement social d'un part et de l'autre, il sert à le relier avec le variable des technologies de l'information et de la communication (TIC) pour analyser son impact sur le processus des changements sociaux. Selon la nouvelle approche sociologique : la sociologie des usages, cette dernière qui considère le binaire changement social et l'usage des TIC, l'une de ses principaux hypothèses épistémologiques.
Les mots clés :
changement social, sociologie des usages, technologie de l'information et de la communication (TIC), usage.

مقدمة

إن التغير هو سمة الوجود و لم يثبت شيء على حاله إلا واجد الوجود، وعليه فإن دراسة التغير لها أهميتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية والنفسية والاقتصادية والسياسية... وفي مختلف المجالات والعلوم، من خلال استخدام مناهج وأساليب وطرق قياس تمكننا من دراسة المجتمعات والتعرف على أسباب التغير ومظاهره وعوامله ونتائجه.

ولما تمر به مجتمعات العالم من تغيرات سريعة خاصة بظهور تكنولوجيات الإعلام والاتصال ووسائطها المختلفة والمتعددة. حيث أن البعض أصبح يجعل من هذه التغيرات انعكاسات للثورة التكنولوجية (أنصار مجتمع المعلومات). فقد صارت ظاهرة التغير ظاهرة بارزة في كل الأنشطة الاجتماعية وصار لهذه التغيرات تأثيرا ت واضحة في كل المجالات الحياتية. لهذا يهدف هذا البحث إلى إيضاح مفهوم التغير الاجتماعي وعلاقته بالمفاهيم القريبة منه على غرار مفهوم النمو والتطور ... ومدى تأثرها وتأثيرها بالمتغيرات التكنولوجية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات.

I. ماهية التغير الاجتماعي:

1- التغيير الاجتماعي:

التغيير يعني في اللغة إحداث شيءٍ لم يكن من قبل بنفس الصورة التي أصبح عليها بعد التغيير، وكانت العرب تقول : غير فلان بعيره ، إذا حط عنه رحله، وأصلح من شأنه، وتغيرت الأشياء إذا اختلفت عن سابقتها ، فحين تقول : غيرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كانت عليه[1]

نسخة غير قابلة للطباعة

أما كلمة" الاجتماعي :"فهي مأخوذة من الفعل الثلاثي (جمع) ومضارعه (يجمع) والمصدر (جمعًا) ، والجمع :مصدر لقولك جمعت الشيء ، كما أنه يطلق على جماعة الناس ، ويستعمل في غير الناس، كجماعة النبات، والشجر، ويطلق على المسجد "الجامع"، لأنه يجمع المصلين في مواقيت الصلاة ، فهو نعت للمسجد، لأنه علامة للاجتماع[2]

والتغير يعني اصطلاحا الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال مدة محددة من الزمن ، بينما" التغير "حينما تضاف له كلمة اجتماعي يصبح المصطلح التغير الاجتماعي، ومعناه كل ما يتعلق بالمجتمع فيصبح هو التغير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول أو التبدل الذي يطرأ على جوانب المجتمع أو التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي خلال مدة من الزمن[3].

كما يقصد به كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء البنائية أم الوظيفية خلال مدة زمنية محددة، كما أنه يشير إلى أنواع التطور التي تحدث تأثيرًا في النظام الاجتماعي أي التي تؤثر في بناء المجتمع ووظائفه[4] أو هو أي اختلاف أو تبدل في الحالة الشكلية أو الجوهرية من شكل إلى أخر أو مكان إلى أخر وبشكل متعاقب[5]. ويمكن أن ننظر إلى التغير الاجتماعي على أنه ذلك التبدل في البنى الاجتماعية وأن التغير ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية لأنه وسيلة بقائها ونموها ويعد التغير الاجتماعي جزءاً من التغير الحضاري الشامل في المجتمعات البشرية.[6]

ويؤكد Red Field أن التغير الاجتماعي يحدث في المجتمعات القروية نتيجة التفاعل الذي يكون بين مراكز المدن وما يوجد فيها من تقاليد حيث يحافظ السكان في القرى على القيم والعادات القديمة[7] . وكذلك الاحتكاك والاتصال بين المجتمعات كأحد مسببات التغير الاجتماعي الحاصل.

فالتغير الاجتماعي حقيقة متأصلة في طبيعة المجتمعات، إذ يتناول الجيل اللاحق الجوانب الثقافية والتراث الاجتماعي "من الجيل السابق ويضيف إليها تارةً ويعدلها تارةً أُخرى بحيث ينتهي تعاقب الأجيال إلى تغير المجتمع الإنساني في الكثير من الخصائص تماشيا مع الواقع الاجتماعي، وظاهرة التغير تشمل كل مرافق الحياة فنحن نعيش في عالم مفتوح متغير غير ثابت من جميع النواحي[8]

2- المفاهيم القريبة من التغيير الاجتماعي:

التغير الاجتماعي والتطور

يعني التغير الاجتماعي كما مر ذكره ذلك التحول والتعديل في العلاقات الاجتماعية وفي البناء الاجتماعي بدون تحديد اتجاه هذا التحول، وهو عملية تطورية أو تغير مستمر يتجه من التجانس أو التماثل في التركيب والوظائف إلى اللاتجانس وهذا يظهر بصورة واضحة عند الانتقال من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات مركبة ومعقدة[9]

أما التطور يعني النمو البطيء المتدرج الذي يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة، تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة[10] ويعرفه معجم علم الاجتماع :أنه العملية التي بموجبها تحقق المجتمعات الإنسانية نموا مستمرا مرورا بمراحل متلاحقة مترابطة [11]، ولقد برز هذا المفهوم بشكل واضح في القرن التاسع إثر النجاح الذي حققته علوم الحياة والتي أدّت إلى ظهور نظرية التطور لـــ Charles Darwin الخاصة بتطور الكائنات الحية والتي فتحت الباب أمام مختلف العلماء والمفكرين للبحث عن أصول مختلف الظواهر الإجتماعية[12] ، وهكذا فقد استعمل مفهوم التطور الاجتماعي بشكل واسع في العلوم الاجتماعية وفي علم الإجتماع بشكل خاص في وصف التحولات التي طرأت على المجتمع الذي شبه بالكائن الحي، كما جاء عند H.spencer الذي يشير إلى تطور المجتمع على غرار تطور الكائن العضوي، حيث عرّف التطور بأنه" إنحدار سلالي معدل على نحو معين[13] .

نسخة غير قابلة للطباعة

وهكذا يمكن حصر مفهوم التطور الاجتماعي في التحول المنظم من أشكال البناء الاجتماعي البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيدا ، اعتمادا على المماثلة العضوية التي شبه بها المفكرين الاجتماعيين التطور في الحياة الاجتماعية بالتطور البيولوجي للكائنات الحية[14]

مما سبق يمكن ملاحظة أن هناك اختلاف واضح بين التطور العضوي والتطور الاجتماعي، فالأول هو حتمي ويسير في خط مستقيم أما الاجتماعي والثقافي يسير وفق تأثير عوامل مختلفة كالعامل السياسي والإقتصادي والثقافي والإجتماعي والتاريخي والسكاني...الخ، والتطور كما يحدث في العناصر المادية والفكرية للمجتمعات يحدث أيضا في ثقافة المجتمعات، فتطور العادات والتقاليد والقيم، فثقافة المجتمعات نمت مع الزمن وبصورة متزايدة التعقيد.

التغير الاجتماعي والتقدم الاجتماعي

يشير التقدم الاجتماعي إلى عملية مستمرة ينتقل المجتمع بمقتضاها من حالة إلى حالة أفضل أو يسير في اتجاه مرغوب فيه أي أن المجتمع لا يعتمد في هذا التقدم على مقياس لقياسها موضوعياً وهنا يصير المجال مفتوحًا للاعتبارات الذاتية أضف إلى ذلك أن هذا المفهوم يقوم عند أغلب المفكرين على أيمان عميق بقدرة الإنسان على التدخل الإرادي لتوجيه العمليات الاجتماعية الوجهة التي تحقق الرفاهية للمجتمع أو بقدرة الإنسان على إرادة صنع الحياة[15] فقد جاء ذلك واضحا في كتابات August Conte و Turgot و Condorcet وغيرهم، كما يعني:التقدم حركة تسير نحو الأهداف الموضوعية التي تنتهي إلى نفع[16]أي اتجاه ضد الركود والإستقرار بل التعامل مع المجتمع من خلال العلوم الطبيعية وهي جركتها الدائبة ذات الفائدة والمنفعة للمجتمع .إنّ فكرة التقدم من نقيض التوازن والإستقرار، حيث يشير على التغير المعبر عن التحولات التدريجية والبطيئة المستمرة.

وهناك من يعرف التقدم بأنه تطور الحياة العقلية للإنسان وتزايد قدرة الإنسان على التحكم في الطبيعة، كما أنه تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك يتقبلها المجتمع ويرى فيها فرصة سانحة لتحقيق آماله في حياة أفضل[17] ومن أمثلة التقدم وسائل الاتصال التي تطورت عبر مراحل التاريخ فظهور البريد بدل المرسول والحمام الزاجل، وظهر جهاز الفاكس بدلا من البريد، وظهور الهاتف والهاتف النقال والتلفزيون وجهاز الكومبيوتر والأنترنت واليوم الاتصال الالكتروني اللامتناهي ولا محدود. والتقدم تناوله الكثير من العلماء والفلاسفة، ففي القرون الوسطى كانت هناك بعض العناصر قدمت إضافات جديدة لفكرة التقدم مثل Roger Bacon حول تطور البشر عبر مراحل متصلة، وفي مرحلة النهضة ظهرت كتابات marquis de Condorcet الذي وضع عشر مراحل لتطور الأمم . أما Auguste Conte فقد كتب عن التقدم الفكري عبر مراحل ثلاث H.Spenser الذي كتب عن تطور المجتمعات ثم Emile Durkheim الذي وضع نظام تقسيم العمل والتقدم..الخ[18]، وبالتالي فإن نظريات التقدم تطورت مع ظهور الثورة الصناعية وقد اتجهت جهود المفكرين في بحث مشكلة التقدم نحو التركيز على عوامل التقدم.

ومنه نرى أن هناك اختلاف بين مفهوم التقدم والتغير لأنّ التقدم يحمل معنى التحسن المستمر نحو الأمام أو يسير في خط صاعد في حين التغير قد يكون تقدما أو تخلفا، وبالتالي فالتغير هو المصطلح الذي يتوافق مع واقع المجتمعات لأنّ هذه الأخيرة ليست دائما في تقدم مستمر بل يصيبها التخلف كما يصيبها التقدم.

نسخة غير قابلة للطباعة

II.مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات:

نشأت مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات في حقل البحوث المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال Tic، أين تبحث العلاقة بين وسائل الاتصال والممارسات الاجتماعية، حيث أن هذه العلاقة تؤسس حسب josiane jouet [19] أهم سمات البحث المتعلق بوسائل الاتصال.

وإذا أردنا الخوض في رواد هذا التيار البحثي الحديث فنجد كل من Josiane Jouet و Pierre Chambat و Serge Proulxيعدون من أهم الرواد المؤرخين والمنظرين لسوسيولوجيا الاستخدامات، وتوصلنا إلى هذا الاستنتاج من خلال ملاحظة مسحية قمنا بها شملت مجموعة معتبرة من المراجع المتخصصة في سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث أن هؤلاء الباحثين قدموا مقالات ونصوصا تلخيصية نقدية لمسار هذا التيار، وبتفحصنا لهذه النصوص التلخيصية Jouet ،proulx[20] ،[21] chambat[22] نجد أننا نتتبع الخطوط المؤدية إلى نشأة هذا التيار العلمي، ومختلف الجوانب المساعدة على تطوره، وأهم الفرضيات التي يقوم عليها.

تشير العديد من المراجع إلى أن ظهور هذه المقاربة كان خلال ثمانينات القرن الماضي، Marchand et Ancelin[23] 1984، jouréguiberry[24] 1989، proulx et tahon[25] في 1989، كما أكدت بصورة كبيرة على أن الأبحاث الأولى المتعلقة بأدوات ووسائل الاتصال، لم يشرف عليها باحثين مختصين في الاتصال، أو وسائل الاتصال الجماهيري، حيث تطورت خارج النماذج الكلاسيكية لعلوم الإعلام والاتصال (وسائل الإعلام، السيمولوجيا...)

شهدت بدايات التسعينيات تطور ونمو سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث أن تعداد الأعمال العلمية الهامة، يؤكد هذا التصور والفهم بالإضافة إلى نشر العديد من الأوراق النظرية في منتصف التسعينيات تشهد على تقارب مهم حول مسألة الاستخدامات والمستخدمين، وأدوات الاتصال خلال هذه الفترة.

تعود الباحثة jouet إلى فترة ما بعد منتصف الستينيات عند خوضها في موضوع ظهور مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات، وهي الفترة التي عرف فيها المجتمع الفرنسي تحولات عديدة تمس(العائلة، العمل، الترفيه) أين ظهرت اتجاهات بحثية جديدة كالبحث في إشكاليات سوسيولوجيا أنماط الحياة والسوسيولوجيا العائلية، وسوسيولوجيا العمل، والتي تأثرت في تلك الفترة بتيار الاستقلالية الاجتماعية الذاتية L'autonmie social.[26]

ترسخت فكرة الأعمال البحثية حول سوسيولوجيا التيليماتيك بواسطة تيار الاستقلالية الاجتماعية. أين تركزت الأبحاث على طرق تملك المينيتال على شكل مبتكر اجتماعي يساهم في بناء الاستخدامات الاجتماعية. كما تعتمد سوسيولوجيا الاستخدامات في مصادرها على مقالات Michel de certeau القائمة على أشكال ابتكار الممارسات اليومية وعلى طرق الفعل والآليات التي تؤسس عملية التملك.[27]

مع بداية الثمانينيات، بينت الدراسات التي أجريت حول Minitel في تلك الفترة بان الاستخدامات التي ركز عليها الدارسون قد تم إبعادها من قبل المستخدمين، حيث تم انتقال الأبحاث من مقاربة تكنو- منطقية الى مقاربة تكنو- اجتماعية، والتي هيمنت خلال فترة السبعينيات، أي الانتقال إلى مقاربة سوسيوتقنية.

أين سارت الدراسات إلى دعم الاستخدامات وتجاوز المصممين وتشير إلى أنه في الوقت الذي نشر فيه الباحث Michel de certeau مؤلفه " Arts de faire،'invention du quotidien " الذي سلط فيه الضوء على الأساليب والتكتيكات التي يقوم بها المستخدمون في كيفية استخدام التقنيات، لاستخراج نماذج أفعال للمستخدمين في حالة يهيمن عليها المتلقي والتي تعني أنها ليست سلبية وتنصاع للواقع الثقافي والاجتماعي كما أن الممارسات اليومية يتخللها الإبداع.[28]

نسخة غير قابلة للطباعة

إن تأثير أطروحات De Certeau Michel تظهر أكثر وضوحا في بحوث تكنولوجيا الإعلام والاتصال. وهناك العديد من الدراسات الاستقصائية المحققة حول الاستخدامات اليومية للتقنيات (الهاتف، المينتال، المانيتوسكوب، الكمبيوتر، الانترنت...إلخ) والتي ولدت حسب Jouet Josiane بداية من سنوات السبعينيات. ليشكل بذلك تيارا بحثيا بطرحه مجموعة من الأسئلة. وهذا ما شهدته البحوث الجامعية المختلفة، والتي تتناقض مع الأعمال الأنجلوساكسونية المنجزة حول وسائل الإعلام.

يعتبر إعادة تأهيل الدور النشط للمستخدم في البحث في سنوات الثمانينيات مع عمل Michel de certeau الذي لم يستخدم مصطلح " المستخدم" للإشارة إلى الشخص الذي يستخدم وسائل الإعلام ولكنه يعمل بمصطلح" الاستخدامات" التي تشير إلى " فن وطرق الأداء العملي".[29] ففضل دراسات الاستخدامات يرجع إلى الأعمال التأسيسية للباحث Michel de certeau الخاصة بالتساؤلات التي طرحها بشان الممارسات اليومية للمستخدمين مع التكنولوجيا، وقيامه بتحليل الفارق بين الاستخدامات المبتكرة والمسطرة بمقابلة عالمين متضادين، عالم الانتاج وعالم الاستهلاك وإعادة الإنتاج.[30]

ومع بداية التسعينيات تطورت دراسات استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الفضاء المهني وفي هذه الفترة استثمر باحثوا الإعلام والاتصال في الحقل الاجتماعي للاستخدام الفرصة، أين تعددت الأعمال العلمية الهامة، حيث نشرت العديد من الكتابات في منتصف هذه الفترة والتي تشهد على تقارب مهم حول مسألة الاستخدامات والمستخدمين وأدوات الاتصال.[31]

وهناك مؤلفون آخرون يصفون التحول الكبير خلال سنوات الثمانينات، والمتعلق بمقاربة الإشكاليات المختصة بالابتكارات التقنية، والاتصال ووسائل الإعلام، مشكلة نظرة استقبالية للاستخدام مثل Victor Scardigli و Philippe Mallein و Yves Toussaint ، كل هؤلاء رجحوا التحول من مقاربة "تكنو–منطقية" إلى " تكنو–اجتماعية"، هيمنت خلال السبعينيات مع تفضيل التحليل المركز على العرض التقني وتجلياته الاجتماعية[32]، أو وضع علاقة سببية بين الابتكارات التقنية والتغيير الاجتماعي، أي الانتقال إلى مقاربة "سوسيو–تقنية" يتم فيها التطرق إلى استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال كمفاوضة بين العرض التقني والطلب الاجتماعي.

3- التغيير الاجتماعي من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

على الرغم من أن العديد من الكتاب والباحثين المختصين في سوسيولوجيا الاستخدامات، يرفضون الخطاب المغالي بإيجابية "مجتمع المعلومات"، إلا أنهم ليسوا أقل اهتماما بإشكالية التغيير الاجتماعي، حيث يشككون في التأثير المباشر لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC على أنماط وطرق الحياة، وكذا طريقة التنظيم والتفكير، ولكن حاولوا تطوير مقاربة معقدة للوساطة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية.

إن المختصين في تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC ينتجون أفكارا وتأملات تندرج غالبا في حقل أوسع من التساؤلات الكلاسيكية حول التغيرات الاجتماعية الجارية، إلى حد أن Alain Gras في مقدمة الكتاب المعنون بـــ: Sociologie Des Techniques de la Vie quotidiènne، بدأ بالإشارة إلى أن تقنيات الحياة اليومية يجب أن ينظر إليها في سياق أوسع لمسائلة حول التغيير الاجتماعي[33].

إن الأعمال المنجزة حول استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بداية من سنوات الثمانينات، إلى غاية العشرية الأولى من الألفية الجديدة، مع التركيز على إدراج دراسة الممارسات الاتصالية في سياق مناقشة أوسع حول تطور مكانة الفرد في المجتمع، وحول تطور الروابط الاجتماعية، وحول تحولات الأدوار الاجتماعية والتنظيمات العائلية، وحول تطور

نسخة غير قابلة للطباعة

أنماط الحياة، والمعايير والمؤشرات المكانية والزمانية التقليدية، والممارسات الحضرية، وحتى على التحولات الأنتروبولوجية المعاصرة.

من أولى المهام الموكلة للمختصين في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال هو تسليط الضوء على التناقض الصارخ بين الواقع الاجتماعي والمبالغات المتعلقة بالتغيرات الاجتماعية المتوقعة تحت أثر الانتشار الواسع لأجهزة الاتصالات، وسوف نجد أيضا أنه في الوقت الذي نشأ فيه وسط علمي منشغل بمسألة الإستخدامات ظهر عدد مهم من النصوص المتعلقة بتصور التطور المجتمعي. من مثل مقالات Chambat [34] وكتابات Scardigli فبينما أُعلن عن ظهور مجتمع الاتصال منذ أكثر من 20 عاما، فإن Pierre Chambat يلاحظ رفقة آخرين[35] أن التغيرات العميقة في أنماط الحياة التي تم التنبأ بها لم تتحقق بعد.

أما Yves Toussaint في مقاله المعنون ب: « La parole électronique du Minitel aux Nouvelles Machines à communiquer"[36] تعرض فيه إلى المينتال والتغيير الاجتماعي، حيث ركز على الهوة الموجودة بين المثالية التقنية وواقع الإدماج الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، وأخيرا وكما أشارت Josiane Jouet فإن الأفراد يفعلون نفس الشيء ولكن بشكل مختلف حيث أن التغييرات الاجتماعية هي أقل شيوعا ودراماتيكية من تلك التي تم الإعلان عنها، فحتى ولو كان يمكن ملاحظة الأثر الفعلي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال تكون مرئية فقط في الفجوات الاجتماعية[37] ، علاوة على ذلك يبدو أنه بالنظر إلى التغيرات المسهلة لظروف الحياة عن طريق استخدام الأدوات الجديدة للاتصال، وتغير سبل الوصول إلى المعلومات، وكسر الحدود التقليدية للتقسيم اليومي للحياة، وتغيير أنماط المؤانسة الاجتماعية...إلخ، فإن الأفراد يعيدون ترتيب ممارساتهم .

بالنسبة لـــ Victor Scardigli وبقية أنصار تيار سوسيولوجيا الاستخدامات، لا ينبغي اعتبار التكنولوجيا العامل الوحيد المسبب للتغييرات في أنماط الحياة بل بالعكس فالعلاقة الجدلية بين المبتكرات التقنية والإبتكارات الاجتماعية هي التي يجب أن تشكل نقطة الارتكاز، حيث أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC توفر حقلا متميزا للملاحظة [38]

لتلخيص مبسط للعناصر الرئيسية التي طورها المختصون في سوسيولوجيا الإستخدامات، والمرتبطة بالعلاقة بين المبتكرات التكنولوجية والتغير الاجتماعي، نفترض أن هذه العناصر يبلغ عددها ثلاثة، وهذا التمييز الثلاثي، الذي بني لأغراض غير واضحة في بعض الأعمال التي اطلعنا عليها.

أولا، يبدوا أن معظم المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات أثاروا هذه الإشكالية، من خلال تشديدهم على أسبقية وجود التغييرات الاجتماعية الواسعة، التي مكنت ودعمت تطوير مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، Victor Scardigli على سبيل المثال بيَن أن استخدام الهاتف عمم بصفة أقل لدعم الحراك الاجتماعي، ولكن عمم بصفة أكبر لأجل تميز أنماط الحياة بالفردانية، وتحويل المساكن إلى أماكن حياة جماعية[39].

كما أكد Jean Pierre Heurtin من هذا المنظور، أن التغييرات الاجتماعية ستكون مرتبطة ومحددة بصفة أقل من طرف الميزات والخصائص التقنية للوسائل الجديدة، مقارنة مع التغيرات العامة التي تخترق الفضاءات الاجتماعية[40].

ثانيا: حاول الباحثون في بعض الأحيان العثور على تقارب بين تطور الممارسات الاجتماعية، وأنماط التنظيم، والميزات التقنية لبعض الإبتكارات التكنولوجية، وفي هذه الحالة، فإن الاستخدامات الملاحظة لأداة اتصالية ما، تتعلق أساسا وترجع إلى احتياجات اجتماعية جديدة[41]، أو بالعكس تجلب احتياجات جديدة مقابل التوقعات والانتظار الاجتماعي، الحاكم عليها سلبا.

نسخة غير قابلة للطباعة

Philippe Mallein وYves Toussaint مثلا يؤكدان أن نجاح الإدماج الإجتماعي للمانيتوسكوب Magnétoscope والمينتال Minitel في العائلات يفسر من خلال التطورات الواسعة في الأشكال الاجتماعية للعائلات، مثل الانتقال من نموذج التسلسل الهرمي السلطوي إلى النموذج التفاوضي، حيث أن تطور نموذج العيش الجماعي ذو طابع فردي خاصة، أو بعض الظواهر كانفجار الأزواج les couples، والحياة المادية [42]، وفي نفس السياق نجد Jean Pierre Heurtin وبعد بضع سنوات، أمد في هذه الملاحظة: حيث أكد على الإستجابة الكافية التي قدمها الاتصال المحمول ردا على الإحتياجات الجديدة، كعدم التعارف وكذا تحرر بعض أعضاء العائلة الواحدة، وكذا ردا على مجموع الاحتياجات الجديدة كإدارة الطوارئ في أماكن العمل[43] .

وأخيرا نجد أن المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات يظهرون كيف أن الإبتكارات التكنولوجية والتغيرات الاجتماعية السابقة، التي تحضر لتبني وسائل اتصال جديدة، في ظل سيرورة توليد جدلية تتجدد باستمرار، حيث يشير Laurence Bardin[44] إلى ذلك موضحا أن التملك الحالي للهاتف النقال كان محضرا ومعدا مسبقا فيقول: "... وصل الهاتف النقال الى ما هو عليه من خلال المستويات السابقة لإستخدام الهاتف الثابت، أو المواد المكملة له، ومن جهة أخرى، من خلال بعض التطورات في المجتمع، وكذا الحاجة التعويضية، للاستفادة من المحمول".

وهكذا فإن المختصين في سوسيولوجيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال يقترحون التفكير وبصفة معقدة في التمفصلات بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية، وتجاوز الطرح المباشر الذي ينوء دائما عن ربط التغيير الاجتماعي بصفة مباشرة وآلية باستعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، في ظل تغييب للسياقات الاجتماعية والثقافية الأخرى.

قائمة المراجع:

[1] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مجلد 2 ، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2005، ص 66 .

2 محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، لسان العرب ، مجلد 8 ، دار صادر، بيروت ، ص 53-54.

[3] محمد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987، ص15.

[4] يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير قراءة مفاهيمية في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية متوفر على الموقع: www.iasj.net /iasj?func=fulltext&aId=50340، ص 04.

[5] محسن عبد الحميد، منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، بغداد، 2002، ص14.

[6] يوسف عناد زامل، مرجع سبق ذكره، ص 04.

[7] محمد الدقس، مرجع سبق ذكره، ص 13.

[8] إحسان محمد الحسن، قاموس علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص190.

[9] عادل عبد الحسين شكاره، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية، مطبعة دار السلام، 1975، ص73.

10طارق حجي، قيم التقدم، دار المعارف، 2001 ، ص 21.

11محمد الدقس، مرجع سبق ذكره، ص28

[12]نفس المكان.

13محمد علي محمد وآخرون، دراسات في التغير الإجتماعي، دار الكتب الجامعية الإسكندرية، 1974 ، ص35

14عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الإجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999 ، ص355 .

[15] عادل عبد الحسين شكاره، مرجع سبق ذكره، ص 90.

[16] معن خليل العمر، التغير الإجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ، عمان الأردن، 2004 ، ص 5.

17 عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999 ، ص 17-18.

نسخة غير قابلة للطباعة

18 معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[19] JOUËT Josiane, « Retour critique sur la sociologie des usages », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°100 «Communiquer à l'ère des réseaux », 2000.

[20] PROULX Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, Enjeux et usages des TIC aspects sociaux et culturels, Tome 1, Presses universitaires de Bordeaux, , 2005, p. 7-20.

[21] JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit.

[22] CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques , *Technologies de l'information et société* , Vol.6, n°3, 1994.

[23] MARCHAND Marie, ANCELIN Claire, *Télématique : promenade dans les usages*, Paris, La Documentation Française,1984, 207 p.

[24] JAUREGUIBERRY Francis, *Un goût d'ubiquité. Usages sociaux du visiophone*, IRSAM / CNRS, 1989.

[25] PROULX S., TAHON M.B., (1989), « La machine infernale: l'expression des peurs chez des usagers de micro-informatique », *Technologies de l'information et société*, Montréal, pp. 71-92.

[26] JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit.

[27] Josiane jouet, Des usages de la télématique aux internet studies, Julie Denouel et Fabien Granjon, des *usages sociaux des technologies numériques d'information et de communication Regard croisés,Paris, Press des mines, 2011,p52*

[28] Michel De Certeau, l'invention du quotidien : ‹arts défaire, paris ‹Gallimard, 1990, p11.

[29] Proulx,serge, «Penser technologies de l'information et de la communication aujourdhui" ,enjeux, modèles ,tenances». Presse universitaire des bourdeaux, 2005,p03

[30] عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية ،ا دار الورسم، الجزائر، ص:292.

[31] Josiane jouet, Des usages de la télématique aux internet studies, op cit.*p55.*

[32] JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », *Réseaux*, n°60 « Les médiations ». 1993, p16.

[33] GRAS A, JOERGES B, SCARDIGLI Victor (Eds.), *Sociologie des techniques de la vie quotidienne*, Paris, L'Harmattan, 1992.

[34] مقالات - Chambat سبق وأن تطرقنا إليها في التهميشات السابقة، أما Scardigli : فنجد من بين كتاباته

-SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, Paris, PUF, 1992.

[35] CHAMBAT Pierre, « Communiquer, relier », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

[36] TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », *Esprit*, n°186 « La télématique ou les nouvelles frontières du privé et du public », 1992.

[37] JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », dans CHAMBAT Pierre, *Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

[38] JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.

[39] SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-elles les structures de la vie en société ? », dans FREEMAN C., MENDRAS H., *Le paradigme informatique : Technologies et évolution sociale*, Paris, Ed. Descartes et Cie, 1995.

[40] HEURTIN Jean-Pierre, « La téléphonie mobile, une communication itinérante ou individuelle? Premiers éléments d'une analyse des usages en France », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°90 « Quelques aperçus sur le téléphone mobile », 1998, pp. 37-50

[41] HEURTIN Jean-Pierre, op cit.

[42] MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages », *Technologies de l'information et société*, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie », 1994.

[43] HEURTIN Jean-Pierre, op cit.

[44] BARDIN Laurence, (2002), « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle de relations interpersonnelles médiatisées en France », *Cahiers internationaux de sociologie*, Vol.CXII «Communication et liens sociaux », p112 .

نسخة غير قابلة للطباعة